

“Closing His Eyes”, full text.

## (١) إغماض العينين

ربع ساعة أو أقل هو الوقت الذي يقطعه كل صباح على دراجته الهوائية للوصول إلى المركز الصحي، جرّب أن يقطع المسافة على قدميه ولم يزد الوقت كثيراً، مع ذلك فقد ظل مصراً على ركوب الدراجة، يسير إلى جانب الرصيف منتظراً أن يخلو الشارع من السيارات ليخفف من سرعته ويغمض عينيه تاركاً العالم ينسحب من على جانبيه من دون أن يراه، لم يكن ذلك يتحقق على نحو دائم ففي مثل هذا الوقت يكون الشارع في ذروة ازدحامه، لكنه في حال تحققه يمنحه شعوراً نادراً بالسعادة يمتد طوال النهار.

أسند دراجته إلى جدار مخزن المواد الطبيّة متحسناً عذوبة اللحظة التي أغمض فيها عينيه وواصل ضغط قدميه على دواستي الدراجة وهو يُحس بنفسه مندفعاً في ظلّمته الرمادية المحببة، ظلّمته يشوبها ضوء مضرب بعيد، لم يدرك إن كانت سعادته في الظلمة التي يتحرك في دواخلها، أو في الضوء الذي لا يكاد يميّز مصدره. هدوء المركز الصحي يمنحه فرصة مضاعفة للشعور بسعادته الصباحية فما يزال أمامه أكثر من ساعة ليصل العمل إلى ذروته، حيث لا يعد بإمكانه أن يلتفت إلى نفسه، لن يدع المراجعون المتجمعون أمام شبّاك التسجيل وقتاً لذلك، يسأل كلاً منهم عن اسمه وعمره ليسجلها على البطاقة ثم يُعيد تسجيلها في سجل المراجعين، يسأل بعدها عن المرض لا ليعالج بل ليوجّه المرضى إلى الأطباء مدوّناً ملاحظته في ركن البطاقة: باطنية، أو جلدية، أو أطفال، ثم يتسلّم المبلغ منشغلاً ببطاقة أخرى..

إنهاء دفتر البطاقات يحسسه بالمرور السريع للوقت، يسحب دفترًا آخر بعد أن يتصفحه متأكداً من ختم بطاقاته يفتحه على البطاقة الأولى، عدّة نهار عمله دفتر ونصف، تزيد قليلاً أو تقل لكنها تراوح ضمن معدلها المعتاد، كأن المرض لا يُصيب إلا عدداً محدداً من الناس كل يوم، يخفّ بعدها تجمع المراجعين حتى ينتهي أو يكاد في حدود منتصف النهار. غالباً ما يظلّ جالساً على كرسيه حتى إنهاء

الدوام فهو لا يجد في نفسه ميلاً لمشاركة موظفي المركز جلساتهم حتى وقت الانصراف وهم يتجمعون، على غير اتفاق، في الصيدلية، أو غرفة التمريض، أو المختبر، يتناولون الأطعمة التي أحضروها معهم ويشربون الشاي وهم يتحدثون منتقلين بأريحية من موضوع إلى آخر، في المرّات القليلة التي شاركهم فيها لم يمنع رغبته في إغماض عينيه، كأنما ليحس انسحاب المواضيع من حوله بالسهولة التي ينسحب العالم فيها كل صباح.. في المرّة الأخيرة إستغرب لسكوت الموظفين، كانت ضجتهم قد خفتت تدريجياً، فكَرّ بلحظات الإنقطاع المريبة من دون أن يفتح عينيه، وبعد أن طال صمتهم فتحمها ورآهم يُحدّقون نحوه، أيديهم تحمل أطعمتهم وأكواب شايهم وعيونهم تنتظر تجاهه، وجد نفسه يُداري خجله وسمع صوته خفيضاً يقول بأنه لم يستطع النوم الليلة البارحة، ثم خرج وقد تعالت أحاديثهم فور إغلاقه الباب.

أخذ يشغل وقته بتنظيم بعض من صفحات سجل المراجعين، يرسم حقولاً بخطوط طولية وأخرى أفقية، ثم يختم بطاقات دفتر الغد، وبعد أن يتناول طعامه ينهض حاملاً كوبه الأبيض بحبة الكرز الصغيرة المرسومة على ظهره بغصنها الدقيق، سيظل الكوب على المنضدة حتى إنتهاء الدوام فهو يُفضل أن يتناول شايه رشقات متباعدة متلذذاً بالمرارة تتصاعد كلما زادت برودته، يتأمل الكوب على الطاولة ويفكر بأن حبة الكرز غير مناسبة على كوب بمثل هذا الحجم، ويتساءل مرّة أخرى: أما كان بإمكانها أن تبدو أكبر قليلاً؟

ينظر، بعد أن يعود، من أعلى شبّاك غرفته عبر سياج المركز إلى الساحة الترابية الواسعة متصوراً ضجة الأولاد وهم يلعبون الكرة، لم ير أولاداً يلعبون من قبل لكنه متأكد بأنهم لن يتركوا ساحة ترابية واسعة من دون أن يثبتوا عليها أهدافهم.. رأى سيارة بيضاء تندفع متباطئة لتقف وسط الساحة، سيارات قليلة تعبر الساحة معظمها سيارات نقل صغيرة، تصوّر عطلاً ما أصابها وانتظر أن ينزل السائق ليفتح غطاء المحرك، نزل بالفعل لكنه لم يتوجه إلى الغطاء، إتكا على الباب وأخرج علبة سكاثر من جيب قميصه، إستلّ سيكارة، أشعلها وبدأ يدخن، نزل بعده رجلان أحدهما وضع يده على كتف رجل معصوب العينين وهو يدفعه تجاه السائق، تلقاه الآخر وأجلسه بعنف على ركبتيه. في تلك اللحظة أحسّ قاطع تذاكر المركز الصحي بحرارة كوب الشاي، وضعه على الطاولة وسحب يده مستغرباً لارتجاجها وعاود النظر، سحب أحد الرجلين مسدسه وأطلق ثلاث رصاصات متتاليات على رأس الرجل معصوب العينين.

في عودته أغمض قاطع التذاكر عينيه، خلافاً لعادته، وقد خفّ تزامم السيارات من حوله، وأستمر  
ضغط قدميه على دواستي دراجته، لم يُحس بنفسه يندفع في ظلّمته الرمادية، ولم يسأل عن ضوئه  
المضيب البعيد، في إغماضته كانت اليد ترتدّ مع كل إطلاقة، وكان الرأس ينتفض.